

محاضرات وندوات مصورة - المغرب - مختلفة : أنواع القراءات ، قراءة بحث وإيمان وشكر وعرفان ، الوحي والإذعان ، آيات الله في الكون وفي النفس .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٦-٠٥-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

القراءة هي تأكيد الإنسانية بالبحث عن الحقيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنَّا وعنهم يا ربَّ العالمين .

بادئ ذي بدء ؛ جزاكم الله خيراً على أنكم توقفتُم عن تناول الطعام لأنه لا يجتمع درس ودرس . أختوي الكرام ؛ كلكم يعلم علم اليقين أن هذا الكون فيه جماد ونبات وحيوان و إنسان ، الجماد شيء يشغل حيزاً ، وله ثلاثة أبعاد ، وله وزن ، النبات يزيد عليه بالنمو ، والحيوان يزيد عليهما بالحركة ، والإنسان يزيد على كل ذلك بالقوة الإدراكية ، والإنسان ما لم يلبَّ الحاجة العليا فيه هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به .

إذاً لا يوجد خيار للإنسان أن يتعلم أو لا يتعلم ، الحقيقة أحياناً الإنسان يضع وردة على صدره وقد ينزعها ، أما الهواء فلا بد من تنفسه وإلا يموت ، فإذا فهمنا العلم كالهواء فهو شيء أساسي وضروري ، لأن الإنسان يتميز عن بقية المخلوقات أن الله أودع فيه قدرة إدراكية ، هذه القوة الإدراكية أنا أسميها : الحاجة العليا في الإنسان ، هناك حاجات كثيرة ؛ الحاجة إلى الطعام والشراب وما إلى ذلك ، الحاجات الغريزية ، إلا أن طلب العلم يعد الحاجة العليا في الإنسان ، لذلك أول كلمة في أول آية في أول سورة نزلت ، قال تعالى :

﴿ اقْرَأْ ﴾

[سورة العلق : ١]

ابحث عن الحقيقة ، أكد إنسانيتك بالبحث عن الحقيقة ، اقرأ .

أنواع القراءات في القرآن الكريم :

١ . القراءة الإيمانية :

لكن هناك بعض المفكرين شرح هذه الكلمة شرحاً دقيقاً جداً ، قال : اقرأ قراءة إيمانية والدليل :

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾

[سورة العلق: ١]

تعلم من أجل أن تؤمن ، تعلم من أجل أن تعرف حقيقتك ، تعلم من أجل أن تعرف رسالتك ، تعلم من أجل أن تعرف سرّ وجودك وغاية وجودك ، من أجل أن تسعد ، من أجل أن تصل إلى دار السلام بسلام ، قضية اقرأ قضية أساسية وليست ثانوية .

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾

[سورة العلق: ١-٣]

٢ . قراءة الشكر و العرفان :

القراءة الأولى قراءة بحث وإيمان ، القراءة الثانية قراءة شكر و عرفان ، منحك نعمة الإيجاد ، و منحك نعمة الإمداد ، ومنحك نعمة الهدى والرشاد ، إذأ اقرأ من أجل أن تؤمن ، و اقرأ من أجل أن تشكر .

٣ . قراءة الوحي و الإذعان :

شيء آخر ؛ اقرأ من أجل أن تفهم الوحي والإذعان ، القرآن كلام الله نزل من عند الله ، فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه ، فضل الإيمان على أي نشاط آخر كفضل الآخرة على الدنيا ، لذلك ليس لي خيار في موضوع القراءة ، علة وجودي في الدنيا أن أتعرّف إلى الله ، قال تعالى :

﴿ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود: ١١٩]

خلقنا ربنا ليرحمنا ، خلقنا ليسعدنا في الدنيا والآخرة ، وما من دعاء أتمناه لكل من أحبّ ولكل من أمامي جميعاً إلا أن تتصل عندهم نعم الدنيا بنعم الآخرة ، عاش في الدنيا وفق منهج الله ، ضبط شهواته طبعاً استمعوا لهذه الآية :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

الأخوة الكرام الذين درسوا الشريعة المعنى المخالف عندهم ، الذي يتبع هواه -شهوته - وفق هدى الله لا شيء عليه :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

الذي يتبع هواه - شهوته - وفق هدى الله لا شيء عليه ، ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا وجعل قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها .

هناك ثلاث شهوات أساسية ، الحاجة إلى الطعام والشراب ، حفاظاً على بقاء الفرد، من أجل أن تبقى حياً ، والشهوة الثانية الرغبة بالشريك الآخر ، حفاظاً على بقاء النوع ، والشهوة الثالثة التفوق - أو بتعبير علمي معاصر - تأكيد الذات ، حفاظاً على بقاء الذكر ، بقاء الفرد بالطعام والشراب ، بقاء النوع بالزواج ، بقاء الذكر بالتفوق ، فلذلك البطولة أن تبحث عن التفوق لا أن تبحث عن الحياة فقط ، أنا أكل لأتفوق ، لأضع بصمة ، هؤلاء الصحابة الكرام تركوا بصمات ، الأنبياء المرسلون ، العلماء الصادقون ، القادة الربانيون ، هؤلاء تركوا بصمات ، مرة من باب التأكيد على قيمة العلم سألت طلابي من يذكر لي تاجرين كبيرين عاشا بالشام عام ألف وثمانمئة وثمانية وستين؟ لا أحد يعلم ، وأنا لا أعلم أيضاً ، أما سيدنا عمر ، سيدنا خالد ، سيدنا صلاح الدين ، فالجميع يعرفهم .

أخواننا الكرام ؛ لم لا نكون شخصية فذة ندع بصمة في الحياة ؟ لم نأتي كملايين مملينة نأتي إلى الدنيا ونغادرها ولم يدر بنا أحد ؟ لا بد من أن ندع بصمة تؤكد بها ذاتك ، وتؤكد بها رسالتك .

٤ . قراءة العدوان والطغيان :

أيها الأخوة الكرام ؛ إذاً هناك قراءة بحث وإيمان ، وهناك قراءة شكر وعرفان ، وهناك قراءة وحي وإذعان ، والعياذ بالله هناك علوم متفوقة جداً من أجل قتل الإنسان ؛ القنبلة الذرية ، الحارقة ، الخارقة ، العنقودية ، أنواع متنوعة من الأسلحة من أجل قتل الإنسان ، فلذلك نقرأ من أجل الإيمان ، ونقرأ من أجل الشكر وعرفان ، ونقرأ أيضاً من أجل فهم الوحي و الإذعان ، ونعوذ بالله من قراءة العدوان والطغيان .

من خصائص الإنسان البحث عن الحقيقة :

أيها الأخوة الكرام ؛ البحث عن الحقيقة من خصائص الإنسان ، البحث عن الحقيقة في الكون والحياة والإنسان ، دققوا قال تعالى :

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة: ٣٨]

لا يخاف من المستقبل ، ولا يحزن على الماضي ، قال تعالى :

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

[سورة طه: ١٢٣]

الذي يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، اجمع الآيتين : الذي يتبع الهدى لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت .

أخواننا الكرام ؛ في الشام لي جار بلغ من العمر مئة وستين ، زرتة مرة قال لي : عندي ثمانية وثلاثون حفيداً ، معظمهم من حفاظ القرآن الكريم ، وأطباء ، أنا قلت : هذا الإنسان تزوج امرأة

أنجب أولاداً ، والأولاد جلبوا له الكنائن ، والبنات جلبوا له الأصهار ، الطبقة الثانية بناته وأزواجهن ، وأولاده وزوجاتهم ، الطبقة الثالثة : ثمانية وثلاثون حفيداً ، هذا الهرم المبارك عقد قران ، بين رجل وامرأة ، لم لا تكون حياتنا عبادة ؟

المؤمن عاداته عبادات :

أخواننا الكرام ؛ أخطب جميع الأخوة الكرام الذين آمنوا ؛ حرفتك التي تحترفها ، مهنتك التي تمتعتها إذا كانت في الأصل مشروعة - شيء مشروع - بيع مواد غذائية ، منزلية ، إن كانت مشروعة ، وسلكت به الطرق المشروعة ، ولم تشغلك عن فريضة ولا عن واجب ، وابتغيت بها كفاية نفسك وخدمة المسلمين ، انقلبت إلى عبادة ، كل واحد منكم بإمكانه أن يقلب حرفته إلى عبادة ، والدليل قال تعالى :

﴿ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾

[سورة التوبة : ١٢٠]

في بيتك عبادة ، أن تأخذ أهلك إلى نزهة تأليفاً لقلوبهم وترويحاً عن متاعبهم عبادة، أن تجلس مع من تحب عبادة ، أن تحاور زوجتك لساعة معينة عبادة ، المؤمن عاداته عبادات، نشاطاته ، لقاءاته ، سفره ، إقامته ، أي نشاط يقوم به بدافع إيمانه ومنهج الله عز وجل هو عبادات ، بينما المنافق عباداته سيئات ، ألا تحب أن تكون أعمالنا كلها عبادة ؟ اختر حرفة راقية ، اختر حرفة جميلة تجمل بها ، هناك حرفة راقية جداً ، أقول كلمة سامحوني بها : أوثق شيء في حياة الإنسان زوجته وحرفته ، فالبطولة أن تحسن اختيار الزوجة ، وأن تحسن اختيار العمل ، هاتان النقطتان أوثق شيء في حياة الإنسان .

أصل الدين معرفة الله :

الآن هذا الدين العظيم تقريباً فيه عدد من الكتب يزيد عن مليون كتاب ، هذا الدين العظيم الذي مضى عليه ألف وأربعمئة عام ، هذا الدين العظيم فيه أصل كبير كبير كبير ، أصل هذا الدين معرفة الله ، إنك إن عرفت الله ثم عرفت أمره تفانيت في طاعته ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في معصيته ، وكأنني وضعت يدي على مشكلة المسلمين الأولى، الأمر بين أيدينا ؛ الصلاة والصوم والحج والزكاة والصدق والأمانة ، لكن البطولة أن تنفرد هذه الأوامر والعبادات إلى سلوك يومي .

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتنني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

ما من مخلوقٍ يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيّته ، فتكديه أهل السموات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً ، وما من مخلوقٍ يعتصم بمخلوقٍ دوني أعرف ذلك من نيّته ، إلا جعلت الأرض هويّاً تحت قدميه ، وقطّعت أسباب السماء بين يديه.

آيات الله الكونية و التكوينية و القرآنية قنوات سالكة لمعرفة سبحانه :

لذلك الشيء الدقيق قال تعالى :

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٦]

كأن الله سبحانه وتعالى بيّن لنا أن هناك قنوات سالكة كي تعرف الله من خلالها ، آياته الكونية ، آياته التكوينية ، آياته القرآنية ، لأن الذات الإلهية لها أسماء ، أسماء الله الحسنى ، أسماؤه حسنى كلها فكيف أدعي أنني أعرف الله ولا أعرف أسماءه الحسنى ؟ أنت بشكل بسيط دخلت لبيت صديقك ، وجدت عنده شخصاً ، وصاحب البيت مشغول ، فاستنذن وغادر ، هذا الشخص تحكم عليه من ثيابه أولاً ، فإذا نطق تنسى ثيابه ، وإذا عاملته تنسى حديثه - كلامه - موضوع معرفة الأشخاص مهمة جداً ، فأنت تتعرف إلى الله تختار صاحب المؤمن ، بالتعبير المعاصر الحاضرة الإيمانية ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾

[سورة الكهف : ٢٨]

الناس على اختلاف مللهم و نحلهم زمرتان لا ثالث لهما :

أخواننا الكرام ؛ أخواتنا الفضليات ؛ هؤلاء البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وتابع ما شئت دول الشمال ، دول الجنوب ، الأنكلو سكسوني، والعرق السامي ، كل هذه التقسيمات وقد تصل إلى مئة تقسيم زمرتان فقط ، الأولى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل : ٥-٦]

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل : ١-٤]

هناك سبعة مليارات ومئتا مليون ، كل إنسان يتجه إلى جهة :

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل : ٤]

لكن الله جلّ في علاه جمع كل هذه الزمر في زميرتين اثنتين فقط ، قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل : ٥-٦]

صدّق أنه مخلوق للجنة ، بناء على هذا التصديق اتقى أن يعصي الله ، و بنى حياته على العطاء ، يعطي من علمه ، من وقته ، من خبرته ، من ماله ، من جهده ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة: ٨-٩]

كذب بالجنة ، آمن بالدنيا ، فاستغنى عن طاعة الله ، بنى حياته على الأخذ ، لذلك يقع على رأس الهرم البشري زميرتان ؛ الأقوياء والأنبياء ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، الأقوياء عاشوا للناس لهم ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب ، والمجتمع البشري وكل إنسان في هذا المجتمع البشري لا بد من أن يكون تبعاً لنبي أو قوي ، فهنيئاً لكم إذا كنتم من أتباع الأنبياء ، هناك منهج ، هناك كتاب ، هناك سنة ، افعل لا تفعل ، هذا فرض ، هذا واجب ، هذه سنة مؤكدة ، سنة غير مؤكدة ، مباح ، مكروه كراهة تنزيهية ، كراهة تحريمية ، حرام ، كل شيء لا بد أن ينتمي لأحد هذه التقسيمات ، فلا بد من طلب العلم ، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم ، فقد جهل ، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيريحهما معاً ، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً .

ضرورة التخلق بأخلاق الله عز وجل :

أخوتنا الكرام ؛ أخواتنا الفضليات ؛ والله الأسماء الحسنی فادعوه بها ، الحقيقة أنه لا بد من أن تتخلق بخلق من الأسماء الحسنی ، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٠]

هذه باء الاستعانة ، كتبت بالقلم ، أنت حينما تعرف الله ، تعرف رحمته ، تقبل عليه ، ترحم خلقه ، عندئذ تكون مستجاب الدعاء :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف : ١٨٠]

هناك نص بالآثر النبوي : " تخلقوا بأخلاق الله " ، أنت حينما تتزين بكمال مشتق من كمال الله عندئذ إذا دعوته استجاب لك ، من هنا :

((إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي))

[الدليمي عن أبي بكر]

أيتها الأخوات الفضليات ؛ أيها الأخوة الأكارم ؛ دققوا في هذه الآية :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

هذه باء السبب ، أي بسبب رحمة يا محمد استقرت في قلبك لنت لهم ، فلما لنت لهم أحبوك ، والتفوا حولك ، ولو كنت منقطعاً عنا افتراضاً يمتلئ القلب قسوة ، وتنعكس القسوة غلظة وفضاظة ، فينفضوا من حولك ، كأن الله تعالى يقول : أنت أنت يا محمد النبي ، الرسول:

﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

إذا الله عز وجل أرسل نبياً من أولي العزم إلى فرعون أكفر كفار الأرض الذي قال:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾

[سورة النازعات: ٢٤]

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[سورة القصص: ٣٨]

﴿ادْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

[سورة طه: ٤٣ - ٤٤]

فلم الغلظة يا أخي ؟ هذا الدين يحتاج إلى رقة ، يحتاج إلى تواضع ، يحتاج إلى إقبال على الله ، يحتاج إلى رحمة :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

بيني وبينكم إذا الإنسان لم يكن رسولاً ولا نبياً ولا ولياً ولا عالماً بالله ، لكن عنده غلظة وفضاظة ماذا نفعل بها ؟ لم الغلظة يا أخي ؟ من هنا كان في الدعوة إلى الله شيء آخر غير العلم ، ما كل عالم بداعية ، كل داعية يجب أن يكون عالماً ، الدعوة تحتاج إلى دين ، إلى تدرج معقول ، آية في القرآن :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾

[سورة النساء : ٤٣]

لماذا بقيت ؟ لماذا لم تنسخ ؟ بقيت حتى مرّ ظرف صعب جداً ، أفنعت إنساناً بالدين بدأ يصلي ، لا تفسد عليه كثيراً ، تدرج معه ، لذلك القدوة قبل الدعوة ، الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم ، القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، املاً قلب من تدعوه بإحسانك ليفتح عقله لبيانك ، لذلك مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى ، فإذا أحبّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً .

بالمناسبة كم صفة يتصف بها النبي الكريم ؟ رسول ، ونبي ، ويوحى إليه ، ومن قریش ، اذكر ما شئت من صفات لا تنتهي كلها إيجابية ، لما أراد الله أن يمدحه بماذا مدحه ؟ قال تعالى :

﴿وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم : ٤]

لو أب غني أعطى ابنه سيارة ، لا يمدح بالسيارة يمدح بتفوقه الدراسي ، هذا منه ، الله عز وجل أتى على النبي صلى الله عليه وسلم بما منه ، بأخلاقه :

﴿وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم : ٤]

النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه ، وقد وضعت مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، تبعه سراقاة ، والله شيء لا يصدق ، قال له : كيف بك يا سراقاة إن لبست سواري كسرى ؟ النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه ، مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، دقق في هذا الكلام ، ماذا يعني ؟ يعني أنني سأصل سالماً ، وسأنتشى دولة ، وسأعد جيشاً ، وسأحارب أكبر دولتين في العالم ، فارس ، وسأنتصر عليهما ، وسوف تأتيني غنائم كسرى إلى المدينة ، ولك يا سراقاة سوار كسرى ، هذه ثقة النبي بنصر الله .

لذلك في عهد سيدنا عمر أحد الصحابة أمسك رمحه ورفع به بقدر ما يستطيع ، وصحابي آخر من الطرف الثاني رفع رمحه ما تراءى الرمحان ، فقال سيدنا عمر : إن الذي أدى هذا لأمين ، كنوز ألماس و ذهب ، فقال سيدنا علي : يا أمير المؤمنين لقد عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا ، وباللغة العامية ولو غبيت لغبوا .

طبعاً إذا الرأس مستقيم الكل ينضبط .

ديننا العظيم دين سعادة و توفيق :

أخواننا الكرام ؛ إذاً هذا الدين العظيم دين السعادة ، دين التوفيق ، والله إن لم يقل أحدكم - والله لا أبالغ- : ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني عنده بإيمانه مشكلة ، أنت مع من ؟ مع خالق السموات والأرض ، مع رب العالمين ، مع القوي ، مع الغني ، مع الحكيم ، مع العليم ، مع اللطيف ، مع الغفور ، مع الرحيم ، لذلك قال تعالى :

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾

[سورة الليل : ١-٦]

البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، زمرتان ، صدق بالحسنى أي آمن بالجنة فاتقى ان يعصي الله ، بنى حياته على العطاء ، الآخر كذب بالجنة ،

فاستغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ ، الأقوياء والأنبياء ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا ،
الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، الأقوياء عاش الناس لهم ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء ملكوا الرقاب ،
والأنبياء ملكوا القلوب ، و الناس جميعاً تبع لقوي أو نبي .

الإِنْسَانُ خَاسِرٌ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ مَضَى الزَّمَنِ يَسْتَهْلِكُهُ :

الآن ما قرأت بحياتي تعريفاً للإنسان أدق من هذا التعريف ، بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى
بضع منه . أنت زمن ولأنك زمن أقسم الله لك بمطلق الزمن :

﴿ وَ الْعَصْر ﴾

[سورة العصر : ١]

جواب القسم ؛

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر : ٢]

أيها الإنسان أنت خاسر ، لماذا يا رب ؟ قال : لأن مضي الزمن يستهلكك ، فقط ، سبت أحد
اثنين ثلاثاء أربعاء خميس جمعة ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة ، شهر ، الثاني الثالث الرابع ، أربعة
أشهر فصل ، ثاني فصل ثالث فصل رابع فصل ، سنة ، عشر سنوات عقد ، عشرون سنة ، عبدي
رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا ، وأنا الحي
الذي لا يموت .

شيعت أحد أقربائي ، وضع في القبر أدير وجهه للقبلة ، كشف عن وجهه ، وضعوا البلاطة ،
أهالوا التراب ، والله ما وجدت على وجه الأرض إنساناً أعقل ولا أذكى ممن يعد لهذه الساعة التي لا
بد منها ، عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا ،
وأنا الحي الذي لا يموت .

الطفل حينما يولد كل من حوله يضحك وهو يبكي وحده ، فإذا شارف على الموت كل من حوله
يبكي فإذا كان بطلاً يضحك وحده ، قال تعالى :

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾

[سورة يس : ٢٦-٢٧]

هذا هو الفوز العظيم ، للتقريب ، لك ابن أخت زرتة في العيد ، قال لك عقب العيد: معي مبلغ
عظيم ، أي مئة دينار ، لو قال مسؤول كبير بالبنتاغون : أعددنا لهذه الحرب مبلغاً عظيماً ؛ نقدره
بخمسمئة مليار دولار ، نفس الكلمة ، فإذا قال ملك الملوك ومالك الملوك :

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء : ١١٣]

هذا هو العطاء :

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

أركان النجاة :

لذلك دققوا :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر : ١-٢]

جواب القسم خاسر ، لأن مضي الزمن وحده يستهلكه ، إلا ؛ رحمة الله فيما بعد إلا:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالنَّحْيِ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر : ٣]

سماها الإمام الشافعي أركان النجاة ، أي لا بدّ من أن تعرف الحقيقة ، ولا بدّ من أن تعمل وفقها ، ولا بدّ من أن تدعو إليها ، ولا بدّ من أن تصبر على البحث عنها ، والعمل بها ، والدعوة إليها . هذه السورة لو تدبرها الناس لكفتهم .

الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم :

لكن الشيء بالشيء يذكر هل تصدقون أن الدعوة فرض عين على كل مسلم ، الدليل :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[سورة يوسف : ١٠٨]

الذي لا يدعو على بصيرة ليس متبعاً لرسول الله ، والآية الثانية :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

[سورة آل عمران : ٣١]

الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ، ولكن في حدود ما تعلم ومع من تعرف ، سمع خطبة ، سمع كلمة تأثر بها ذكرها لزوجته ، لأخوته ، لشريكه في العمل ، لصديقه ، لجاره إلى آخره ، هذه الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف ، أما الدعوة الاحترافية ، قال تعالى :

﴿ وَتَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٠٤]

هذه تحتاج إلى تفرغ ، وتبحر ، وتعمق ، إن قام بها البعض سقطت عن الكل ، أما كفرض عين :

((بلغوا عني ولو آية))

[البخاري عن ابن عمرو]

في حدود ما تعلم ومع من تعرف .

آيات الله عز وجل في الكون :

الشيء الآخر الله عز وجل قال :

﴿ سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت: ٥٣]

أخواننا الكرام ؛ بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية ، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر ، في الدقيقة ضرب ستين ، بالساعة ضرب ستين ، باليوم ضرب أربع وعشرين ، بالسنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ، أربع سنوات ضرب أربع ، هذه المسافة بالكيلو مترات ، ابنك الصغير يحسب لك هذه المسافة ، لو أردنا أن نصل إليها بسيارة لاحتجنا إلى خمسين مليون عام ، خمسون مليون عام من أجل أن نقطع أربع سنوات ضوئية ، بعد الأرض عن نجم القطب أربعة آلاف سنة ضوئية ، بعد الأرض عن مجرة المرأة المسلسلة مليوناً سنة ضوئية ، بعد الأرض عن أحدث مجرة أربعة وعشرون ألف مليون سنة ، اسمع القرآن :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة: ٧٥-٧٦]

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان: ١١]

الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي ، وهذا الشكل له قطر أصغر وقطر أطول ، ونظام الجاذبية تحكم هذه الحركة ، الآن الأرض تتحرك من القطر الأكبر إلى القطر الأصغر ، حينما تقل المسافة بينها وبين الشمس بحسب قانون الجاذبية تزداد الجاذبية ، فهناك احتمال أن تتجذب الأرض إلى الشمس ، فإذا جُذبت إليها تبخرت في ثانية واحدة ، كيف لا تتجذب ؟ الله عز وجل يرفع سرعة الأرض ، فتنشأ قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة ، فتبقى في مسارها ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: ٤١]

يد من ؟ قدرة من ؟ علم من ؟ عظمة من ؟ هذا هو الله عز وجل .

من آيات الله في النفس :

١ . الغشاء العاقل :

شيء آخر ، قال تعالى :

﴿ سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت: ٥٣]

المرأة حامل عقب الولادة ينزل مع الجنين قرص لحمي ، اسمه المشيمة ، فيها شيء لا يصدق ، تجتمع فيه دورة دم الأم مع دورة دم الجنين ، ودم الجنين زمرة ، ودم الأم زمرة ، ولا يختلطان ، فلو اختلطا لماتت الأم والجنين معاً ، كيف لا يختلطان ؟ قال : بينهما غشاء عاقل، لماذا سمي عاقلاً ؟ قال : لأنه يأخذ من دم الأم الأوكسجين يضعه في دم الجنين ، يأخذ من دم الأم السكر يضعه في دم الجنين ، يأخذ من دم الأم الأنسولين يضعه في دم الجنين ، توافر للجنين الأوكسجين ، والسكر ، والأنسولين ، يحترق السكر بالأوكسجين عن طريق الأنسولين، تتولد الطاقة ، حرارة الجنين سبع وثلاثون درجة ، الغشاء العاقل يأخذ من الأم جميع عوامل المناعة التي اكتسبتها عند مرضها ، هذه تنتقل إلى دم الجنين ، الجنين محصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه ، الغشاء العاقل ينقل الأغذية المناسبة ولا يستطيع أكبر طبيب في العالم أن يعرف ماذا يحتاج هذا الجنين ، كل ساعة تتبدل النسبة ، تتناسب مع نمو الطفل ، هذا الطفل ينقصه بوتاسيوم ، ماذا يفعل الجنين ؟ يطرق عليها الباب نريد بوتاسيوم كلي طعاماً فيه بوتاسيوم ؟ تشتهي الأم الحامل طعاماً هو حاجة جنينها ، يسمونه عندنا باللغة العامية الوحام ، تشتهي الأم أكالات لا تحبها بالأيام العادية .

﴿ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرْوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان: ١١]

أخواننا الكرام ؛ هذا الغشاء العاقل يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء ، فلذلك إذا تفكرت في خلق السموات والأرض دخلت في أوسع باب إلى الله ، وفي أقصر طريق ، لأنه يضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله .

٢ . انعدام أعصاب الحس في الشعر و الأظافر :

برأس الإنسان ثلاثمائة ألف شعرة ، لكل شعرة شريان ، ووريد ، وعصب ، وعضلة ، وغدة دهنية ، وغدة صبغية ، لكن لا يوجد أعصاب حس في الشعرة ، لو كان هناك أعصاب حس ، أين ذاهب ؟ إلى المستشفى لإجراء عملية حلاقة ، تخدير كامل ، هذه حكمة الله عز وجل لا يوجد عصب حس في الشعر ولا في الأظافر .

٣ . الغدد :

أخواننا الكرام ؛ أخواتنا الفضليات ؛ يوجد جانب القلب غدة صغيرة بحجم سلامة الأصبع ، أنا كنت في أمريكا وعلمت أن هذه الغدة لا وظيفة لها قطعاً لأنها تضمّر بعد سنتين ، ثم تبين أنها أخطر غدة في حياة الإنسان ، مدرسة حربية ، تدخل إليها الكريات البيضاء جاهلة همجية تتعلم لسنتين من هو العدو ، ومن هو الصديق ، والتخرج بامتحان ، تعطى هذه الكرية عنصراً صديقاً فإن قتلته ترسب وتقتل ، تعطى عنصراً عدواً إن لم تقتله ترسب وتقتل ، الخريجات تتولى تعليم الأجيال

الصاعدة حتى نهاية الحياة ، بالسبعين يضعف التعليم . يصاب الإنسان بحالة اسمها الخرف المناعي هي التهاب المفاصل ، هي حرب أهلية داخلية في الجسم، قال تعالى :

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان: ١١]

أنت تمشي في بستان ، وجدت أفعى ، ما الذي حصل ؟ انطبعت صورة الأفعى على شبكية عيني إحساساً ، الشبكية لا تقرأ الصورة ، نقلتها إلى الدماغ ، إلى مركز الرؤية ، هناك تقرأ الصورة ، كيف تقرأ ؟ يوجد ملفات الأفعى والثعبان ، طالب درس بالعلوم عن الأفعى، سمع قصة من جدته عن الأفعى ، رأى مرة أفعى ، رأى أفعى محنطة مثلاً ، فهذه المشاهدات ، والمعلومات ، والدراسات تشكل ملفاً اسمه ملف الأفعى ، وهذا الملف موجود بالدماغ ، فلما انتقلت صورة الأفعى من الشبكية إلى الدماغ ، الدماغ يرسل هذه الصورة إلى الغدة النخامية ، وهي ملكة الغدد جميعاً ، النخامية عندها وزير داخلية الكظر ، ترسل خمسة أوامر ، أول أمر إلى القلب برفع النبض من ثمانين نبضة إلى مئة وثمانين نبضة ، الثاني إلى الرئتين لتزيد في وجبيهما ، يلهث الخائف ، الخائف له لون وردي ليس بحاجة له هو بحاجة للدم فالأمر الثالث إلى الأوعية الدموية تضيق لمعنتها فيصفر لونه ، ثم الرابع للكبد لطرح كمية من السكر زائدة ، وأمر للتجلط لو ضرب بسكين عوض أن يسيل الدم كله يتجلط ، خمسة أوامر في ثوان ، قال تعالى :

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان: ١١]

طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيريحهما معاً :

أخوتنا الكرام ؛ إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل ، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيريحهما معاً ، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً .
بارك الله بكم ، وحفظ لكم إيمانكم ، وأهلكم ، وأولادكم ، وبلدكم .

والحمد لله رب العالمين